

أصل الظلّامة

كتب: فضيلة حجة الاسلام الشيخ جاسم الحائري

ونسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

ما تركت بدر لنا مذيقا

ولا لنا من خلقتنا طريقا.

وسئل الإمام زين العابدين عليه السلام وابن عباس أيضا:

لم أبغضت قريش عليا ؟ قال : لأنه أورد أولهم النار ،
وقلد آخرهم العار . المناقب ج ٣ ص ٢١ .

علي بن الحسن بن علي بن النفال عن أبيه عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه إلى غيره وقد عرفوا فضله وسابقتها ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : إنما مالوا عنه إلى غيره وقد عرفوا فضله ؛ لأنه قد كان قتل من آباؤهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأقربائهم ؛ المحادين لله ولرسوله عددا كثيرا ، فكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم ؛ فلم يحبوا أن يتولى عليهم ، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك ؛ لأنه لم يكن له في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما كان له ، فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه . علل الشرائع ج ١ ص ١٤٦ .

وعن محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر النيسابوري بنيسابور قال : سمعت عبد الرحمن بن محمد بن محمود يقول: سمعت إبراهيم بن محمد ابن سفيان يقول: إنما كانت عداوة أحمد بن حنبل مع علي بن أبي طالب عليه السلام أن جدّه ذا النديه الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم النهروان وإن كان رئيس الخوارج . علل الشرائع ج ٢ ص ٤٦٧ .

وقال ابن أبي الحديد في أوضاع الشيعة: وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض على وموالاة أعدائه وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضا أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى إن انسانا وقف للحجاج ويقال انه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقّوني فسّموني عليا وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال للطف: ما توصلت به قد وليتك موضع كذا. شرح النهج ج ١١ ص ٤٦ .

وروى أبو عثمان: أن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، إنك قد بلغت ما أملت ، فلو كفت عن لعن هذا الرجل أي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : لا والله حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاك فضلا . شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٥٧ .

وعن ابن أبي الحديد قال: فقد رأيت انتقاض العرب

لا يخفى أنّ أصل ظلامه الشيعة هو لولا أنهم للإمام عليّ وأبنائه الأطهار عليهم السلام ، لذا حرّبي بنا قبل أن نستعرض ظلامات الشيعة ومآسيهم أن نسلط الأضواء على أساس الظلامه وعمدتها وهي ظلامه يعسوب الدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

عليه السلام

يبقى مثل هذا السؤال كحجر عثرة يعرف كل من يريد معرفة الحقائق في التاريخ، فلا يدعه يميّز بين الحقّ والباطل إلا بعد أن يطّلع على الأسباب الحقيقية التي دعت القوم إلى ظلم الإمام علي عليه السلام .

وكل باحث ما لم يجب على هذا السؤال فإنه يبقى يتخطى تخبط العميان من غير أن يصل إلى ساحل الأمان، ولذا فإننا نستعرض إلى بعض الدواعي التي قادت القوم إلى ظلم أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنها:

١ . أحقاد دفينه: لا يشك أحد أن الذين ظلموا أمير المؤمنين عليه السلام أو ساهموا في ظلامته دفعتهم الأحقاد الدفينه التي خلفها أمير المؤمنين عليه السلام في قلوبهم أيام الحروب الإسلامية، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: إذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم يتمالئون عليك ويمنعونك حقا . عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٧٢ .

ونحن نقرأ في دعاء الندبة: فادع قلوبهم أحقادا بدرية وخيبرية وحنينية وغيرهن . بحار الأنوار ج ٩٩ ص ١٠٦ .

بل إن الأحقاد الدفينه التي كانت في قلوب القوم ضد رسول الله صلى الله عليه وآله أفروغها على أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال: كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته في وستظهره في ولدي من بعدي . شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٢٨ الحكم المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام .

الطبع لم يستطع القوم إبان حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يكشفوا حقيقتهم وواقفهم بل انتظروا حتى استشهد صلى الله عليه وآله ، فكشفوا عن واقفهم واستضعفوه حتى بلغ الأمر به أنه كان يقصد قبر النبي صلى الله عليه وآله ويقول: يا بن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا أن يقتلوني . كتاب الأربيعين للقمي الشيرازي ص ١٦٠ .

ولو أردنا استعراض الشواهد الدالة على حقد القوم لطلال بنا المقام، ولكننا نذكر بعضها باختصار ومنها:

أن ابن عمر قال لأمير المؤمنين عليه السلام: كيف تحبك قريش وقد قتلت في يوم بدر وأحد من ساداتهم سبعين سيدا تشرب أنوفهم الماء قبل شفاهم . مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢١ .

عليه من أقطارها حين بوبع بالخلافة ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس وعشرين سنة ، وفي دون هذه المدة تنسى الأحقاد وتموت التراث وتبرد الأكياد الحامية وتسلو القلوب الواجدة ويعدم قرن من الناس ، ويوجد قرن ، ولا يبقى من أرباب تلك الشحنة والبغضاء إلا الأقل . فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه صلى الله عليه وآله من إظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب حتى أن الأخلاف من قريش والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعهم وفتكاتهم في أسلافهم وآباؤهم فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله ، وتقاسمت عن بلوغ شأوه . شرح النهج ج ١١ ص ١١٤ .

وقال أيضا: إن قريشا كلها كانت تبغضه أشد البغض إلى أن قال: ولست أوم العرب، ولا سيما قريشا في بغضها له، وانحرافها عنه، فإنه وترها وسفك دماءها . وكشف القناع في مناقبها ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم . شرح النهج ج ١٣ ص ٢٩٩ .

٢ . الحسد: فقد حسد القوم أمير المؤمنين عليه السلام على ما أولاه الله عزّ وجلّ من الفضل والكرامة، ولذا أخذوا ينتقمون منه ومن ذريته ومواليه عبر العصور المختلفة، فذات يوم خطب أبو الهيثم بن التيهان بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فقال : لله إن حسد قريش إياك على وجهين ، أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك فحسدوك حسدا انغل القلوب ، وأحبط الأعمال ، وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدمك إليها الحظ ، وأخرهم عنها الحرمان ؟ فلم يرضوا أن يلحقوك حتى طلبوا يسبقوك ، فبعدت والله عليهم الغاية ، وأسقط المضمار : فلما تقدمتهم بالسبق ، وعجزوا عن اللحاق بك بلغوا منك ما رأيت ، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش . الأوائل ص ١٥٠ .

وفي شرح نهج البلاغة للمعتزلي في تفسير قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله) أنها أنزلت في علي عليه السلام وما خص به من العلم . شرح النهج ج ٧ ص ٢٢٠ .

وقال المعتزلي الحنفي : إن قريشا اجتمعت على حربيه منذ بوبع ، بغضا له وحسدا ، حقدوا عليه : فأصفقوا كلهم يدا واحدة على شقاقه وحربه ، كما كانت في ابتداء الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله لم تخرم حاله من حاله أبدا . شرح النهج ج ١٦ ص ١٥١ .

وقال أيضا: وانحراف قوم آخرين عنه أي أمير المؤمنين عليه السلام للحسد الذي كان عندهم له في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لشدة اختصاصه له وتعظيمه إياه ، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه وعلو مكانه ، وما اختص به من مصاهرته وأخوته ، ونحو ذلك من أحواله . وتكثر قوم آخرين له : نسبتهم



إليه العجب والتهيه كما زعموا واحتقاره العرب ، واستصغارها الناس كما عدده عليه ، وإن كانوا عندنا كاذبين ولكنه قول قيل ، وأمر ذكر. شرح النهج ج ١١ ص ١١٣.

٣. عليّ صاحب الحقّ: كان القوم يعلمون جيداً أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أولى منهم برسول الله ﷺ ، وهو الخليفة من بعده، وقد صرّح بذلك كثير منهم، ولكن مع ذلك فقد أصرّوا على تحيته وإفصائه عن منصبه الإلهي، وحرصوا على ظلمه كي لا يطالب بحقه.

فمن كلام لعثمان بن عفان لابن عباس : لقد علمت أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه. شرح النهج ج ٩ ص ٩.

وقال عمر لابن عباس : إن علياً لأحق الناس بها ، ولكن قريشاً لا تحتمله. تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٥٩.

وعن ابن عباس: قال لي عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر. قلت: خلفته يلعب مع أترابه، قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله، عليك دماء البُدن إن كتمتها ! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة. قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم وأزيدك. سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً. ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما. ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً. ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها. فلم رسول الله أني علمت ما في نفسه. فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم. شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٠.

٤. الجهل المطبق: طائفة كبيرة من الناس ساهموا في ظلم أمير المؤمنين عليه السلام لجهلهم المطبق به وبمقامه حيث لم يعرفوا عن علي بن أبي طالب عليه السلام إلا ما أملاه عليهم أعداؤه ومناوئوه ممن استغلوا جهلهم وحركوه ضده.

فكثير من أهل الشام حرّضهم معاوية ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام مستغلاً جهلهم المرط وتصبّهم الشديد، ويشهد لذلك أنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلّق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقتهم فتضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى،

ودسّ إلى الكوفي بعد تفرّقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه وقال له: أبلغ علياً أنّي أقبله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل. مروج الذهب ج ٢ ص ٧٢.

وعن شدّاد بن عمار، قال: دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا علياً فشتموه، فشتمته، فلما قاموا قال لي: لم شتمت هذا الرجل؟ قلت: رأيت القوم شتموه فشتمته معهم. فقال: الا أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى. قال: أتيت فاطمة عليها السلام، أسألها عن عليّ فقالت: توجّه إلى رسول الله ﷺ فجلست، فجاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين، كل واحد منهما أخذ بيده، حتى دخل فأدنى علياً، وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ منهما على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه أو كساءً، ثم تلا هذه الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقّ. تفسير الثعلبي ج ٨ ص ٤٣.

٥. التضليل الاعلامي: فقد ركز أعداء أمير المؤمنين عليه السلام على هذا الجانب بشدة، حتى خدعوا الناس وشوهوا صورة الإمام علي عليه السلام عندهم، ونسبوا إليه أموراً هو منها بريء. قال أبو جعفر الإسكافي: وقد روي أنّ معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام). وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد). وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله)، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقيل، وروى ذلك. شرح النهج ج ٤ ص ٧٣.

وقال أبو جعفر أيضاً: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله، فاختلفوا ما أَرْضاه، منهم: أبو هريرة وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعروة بن الزبير. شرح النهج ج ٤ ص ٦٣.

وروي أنّ شاباً من معسكر معاوية أشدّ:

أنا ابن أرباب الملوك غسان

والدائن اليوم بدين عثمان

نبأنا قراؤنا بما كان

أنا علياً قتل ابن عفان

وظل الشاب يشتم ويلعن ، فلقبه هاشم بن عتبة

وكان من أصحاب علي فقال له : يا هذا إن الموقف وما

أردت به . قال : فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما

ذكر لي ، وأنتم لا تصلون أيضاً . وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله ، فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ، إنما قتله أصحاب محمد وأبناء الصحابة وقراء الناس ، حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب ! ! وهم أهل الدين وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك . . . وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي ، فهو أول من صلى ، وأفقه خلق الله في دين الله ، وأولى بالرسول ، وأما كل من ترى معي فكلمهم قارئ لكتاب الله ، لا ينام الليل تهجداً ، فلا يغويك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون . فقال له الفتى : يا عبد الله إني أظنك امرأ صالحاً فتخبرني ، هل تجد لي من توبة ؟ قال هاشم : نعم يا عبد الله تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين . فرجع الفتى . فقال له أهل الشام : خدعك العراقي ، خدعك العراقي . قال : لا ولكن نصح لي. تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠.

٦. الصرامة في الحقّ: كان أمير المؤمنين عليه السلام شديداً في الحقّ لا تأخذه في الله لومة لائم؛ مما خلق الكثير من المناوئين والمبغضين، يقول ابن أبي الحديد عن ابن عباس: أنّ علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحقّ فالجور عليه أضيّق.

قال الكلبي: ثم أمر علي عليه السلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين قبض... وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكفّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيب أو أصيب أصحابها، فبلغ ذلك عمرو بن العاص وكان بأيلة من أرض الشام أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها فكتب إلى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع إذ قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها. شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٢٦٩.

وقال صالح الكشفي الحنفي: كان أمير المؤمنين علي عليه السلام دخل ليلة في بيت المال يكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ علي عليه السلام السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك فقال عليه السلام: كان زيتي من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه. شرح احقاق الحق ج ٨ ص ٥٣٩.

مجمّل هذه الأمور جعلت الناس يتآزرون على ظلم أمير المؤمنين عليه السلام والنيل منه بشتى الطرق، لكن وبالرغم من عظم كيدهم إلا أن نجم الإمام علي عليه السلام بقي متألقاً سامياً يسطع لعشاقه على مرّ الزمان.